البعد التزكوي في ظل جائحة كورونا

هيام سامي الزعبي

باحثة وطالبة دكتوراه في الاقتصاد والمصارف الإسلامية - جامعة اليرموك - الأردن

لا يخفى على أحد آثار جائحة كورونا على العالم سواء اقتصاديًا واجتماعيًا، حيث تسبب انغلاق معظم الدول على نفسها إيقاف معظم الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وخلق أزمات حقيقية في مختلف جوانب الحياة، وتأثير على قطاع التعليم بسبب غلق المدارس والجامعات، وتقليل أعداد العاملين في معظم القطاعات الحكومية والخاصة.

إن للأزمة تأثير على السلوك البشري الفردي وعلى المجتمع حيث أدت الى خلق أزمة اجتماعية بسبب عدم تكافؤ الفرص والمساواة بين أفراد المجتمع، وتأثير على أحكام الإجارة وعلى حجوزات الطيران والفنادق وجميع القطاعات.

مما يستوجب العودة الى نظام الاقتصاد الإسلامي وأحكام الشريعة الإسلامية، وإعمال نظرية الظروف الطارئة المبنية على أساس مبدأ العدل ورفع الحرج، وانظار المعسر حيث أنه مبدأ ثابت في المعاملات المالية الإسلامية.

والباحثة في هذا المقال ليست بصدد تقديم حلول للمشكلات التي نجمت عن جائحة كورونا بل التركيز على قضية محورية وهامة تتعلق بعلاقات أفراد المجتمع مع بعضهم البعض في ظل مجتمع إسلامي يدعو لتكافل والتعاون بين أفراد المجتمع وأيضا له أثر في التخفيف من آثار جائحة كورونا على المجتمع وله بُعد إنساني عميق، وهي محاولة لشد انتباه الباحثين لتنبه لهذه القضية وتكثيف الجهود من أجل الوصول إلى ما هو في صالح أفراد المجتمع.

البعد التزكوي

ما نراه في واقع مجتمعاتنا وللأسف منافي للقيم الإسلامية ومنها ما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية من انتشار الربا والغش والغبن والتغرير والاحتكار وغيرها من نواقض الإرادة ونواقض المعرفة وما يؤثر بشكل سلبي على ضبط المعاملات بين أفراد المجتمع.

هذا كله بسبب غياب البعد التربوي التزكوي والالتزام الذاتي لدى الأفراد، فلا بد من الإنصاف والنصح في المعاملة مشتريًا كان المتعامل أم بائعًا.

في رواية جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه: "أن غلامه اشترى له فرسًا بثلاثمائة، فلما رآه جاء الى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة وقال بايعت رسول الله صل الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم" العبرة من هذه الرواية أن يخلص المسلم مع أخيه في تعامله وأن يصدق معه في بيعه وشرائه وسائر معاملاته، ومن تمام النصح أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، وهذا من كمال الإيمان ومن حقوق المسلمين.

وفي رواية عن محمد بن المنكدر "أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسينات بعشرة، فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له: إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة، فقال يا هذا قد رضيت. فقال وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك وإما أن نرد عليك خمسة وأما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيل له هذا محمد بن المنكدر، فقال: لا إله إلا الله، هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا"، وفيه إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفا أو واحد على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع، إذن هذه هي الأخلاق الإسلامية التي يجب التمسك بها وعدم تركها.

تفعيل البعد التزكوي في ظل جائحة كورونا

المجتمعات الإسلامية احوج ما تكون الى التزام بالبعد التزكوي في ظل جائحة كورونا ولا بد من تفعيل وتعزيز الوعي الأخلاقي والتربوي والالتزام الذاتي واستشعار الرقابة الإلهية في جميع المعاملات.

جاءت أحكام الشريعة الإسلامية بالنهي عن الغش في المبيع سواء في كم أو نوع السلعة، والنهي عن الغبن وانتقاص حق الغير والنهي عن الغرر بأنواعه (غرر الوجود، غرر الحدود، غرر المواعيد)، والنهي عن التغرير سواء الفعلي أو القولي. وتحريم الربا وكل معاملة تُفضي الى الربا، والنهي عن بيع المكره والمضطر والاحتكار، فأحكام الشريعة الإسلامية ضبطت هيكل السوق لتؤمن المعرفة التامة وتؤمن حرية التعاقد بلا عيوب أو مشوهات للإرادة، والترغيب في عدم المبالغة في طلب الربح برفع السعر، والتنبه للبعد التزكوي والالتزام الذاتي لدى الأفراد في ضبط المعاملات.

وكل ذلك لتحقيق أهداف المجتمع الاقتصادية وأهمها الكفاءة والعدالة التي غابت في مجتمعاتنا وخاصة في ظل جائحة كورونا. إذن بالتزام الافراد بمبادئ واحكام الشريعة الإسلامية في تعاملاتهم اليومية سواء الاجتماعية أو الاقتصادية سيؤدي ذلك لتخفيف من وطأة آثار جائحة كورونا على الأفراد والمجتمع.

لكن واقع الحال، هناك فئات كثيرة حاولت استغلال الجائحة وممارسة الغش والغرر وتعاملات الربوية واستغلال حاجة الكثير من فئات المجتمع التي تضررت بشكل كبير، وذلك بسبب غياب البعد التزكوي والالتزام الذاتي واستشعار الرقابة الإلهية، فلا بد من تفعيل هذا البعد لدى الفرد خاصة في هذه الظروف التي تمر بها المجتمعات الإسلامية لنكون عونًا لبعضنا البعض ونموذجًا إسلاميًا وأخلاقيًا يحتذى به.